عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

السلسلة الفكرية – الجزء الرابع

الفَلْسَفَة الأَلْفِيَّة ومَنْهَج المُقارَبة

كيفية التعامل مع التَّعارضات بين الغيب والعلم

القانون الأول والأبدي في البحث العلمي هو أن "العلم يجب أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح"، فمعظم النظريات العلمية قد بدأت بداية ذكية ولكنها خاطئة، ومع الأيام تم الانتباه للأخطاء وتصحيحها،،، وهنا يكون السؤال .... كيف يُمكن التعامل مع التعارضات بين الغيب الذي نؤمن به ولكن لا ندرك تفصيلاته، وبين البحث العلمي الذي يجب أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح؟؟؟

جميع الحقوق محفوظة
نسخة إلكترونية دون فواصل
omr-mhmd.yolasite.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة 3

الفصل الأول – الفلسفة الألفية والمسيرة العلمية 5

الفصل الثاني – منهج المقاربة المنطقي 16

الفصل الثالث – الفلسفة الألفية وعلاج الشك 22

3.1 وجود الخالق..... 23

3.2 الرسالة المحمدية..... 26

المراجع 29

مؤلفات سابقة للمؤلف 30

المقدمة

تعرضنا لموضوع هذه المقالة في كتاب "أصل الإنسان"، ولكن وجدنا من المفيد وضعه في مقالة مستقلة مع ترتيب وتنقيح؛ وذلك لأهمية هذا الموضوع، ولاستخدامه مرجعًا لمقالات لاحقة.

الآن ..... نحن المسلمين نؤمن تماما أن القرآن كلام الله. وتوجد في القرآن أخبار غيبية متعلقة بالكون والإنسان والحياة، ولكن هذه الأخبار لم تأت بالتفصيل؛ فلا يوجد في هذه الأخبار أجوبة لـ كيف وماذا ومتى وأين ومن ولماذا إلخ،، وهذا أمر طبيعي حيث إن القرآن ليس كتاب فيزياء ولا كيمياء.

وفي المقابل فإن القانون الأول والأبدي في البحث العلمي هو أن "**العلم يجب أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح**"؛ فمعظم النظريات العلمية (إن لم يكن جميعها) قد بدأت بداية ذكية ولكنها خاطئة (أو على الأقل غير دقيقة)، ومع الأيام تم الانتباه للأخطاء في النظريات وتصحيحها وذلك بجهد الأجيال المتتالية.

ولهذا فإنه من الطبيعي أن يظهر التعارض بين الغيب والعلم؛ ولذلك للسَّبَبَين التاليين:

- أن يكون فهمنا للنصوص الغيبية لم يكن صحيحا.
- أو أن يكون البحث العلمي نفسه ما زال في طريق الخطأ نحو الصحيح، كما سنضع الأمثلة على ذلك لاحقا.

وهنا يكون السؤال .... كيف يمكننا التعامل مع التعارضات بين الغيب الذي نؤمن به ولكنَّا لا ندرك تفصيلاته، وبين البحث العلمي الذي يجب أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح؟؟؟؟

وهذا هو الهدف من هذه المقالة.

وللاختصار فإن الفلسفة الألفية تتعلق بِخطين رئيسيين في البحث والتحليل:

- والخط الأول هو النصوص الغيبية الصريحة والتي نؤمن بها كما فهمناها.
- والخط الثاني هو نتائج البحث العلمي والذي نمشي ونتماشى معه حتى يفرجها الله تعالى.

ونستطيع إضافة خط ثالث لهذه الفلسفة وهو "منهج المقاربة" وفيه نحاول أن نوفق بين بين الخط الأول والثاني. ونتائج هذه الخط في معظم الأحيان تكون غير دقيقة (كما سنشرح بالتفصيل لاحقا)، وفائدة هذا الخط هو أنه سَيُجبرنا أن نرى الأمور من زوايا مختلفة، وهو كذلك يُقدم لنا "حقنة مهدئة" تُساعدنا على تجاوز الضيق الذي قد ينتج من وجود التعارضات بين الغيب والعلم، وذلك حتى يفرجها الله تعالى.

والخط الأول والثاني سنشرحهما في الفصل الأول.
والخط الثالث سنشرحه في الفصل الثاني.

وأما الفصل الثالث فهو يتعلق بكيفية معالجة الشك الذي قد يظهر من التعمق في الخط الثاني (وهو البحث العلمي الذي قد يظهر أنه متعارض مع النصوص الغيبية).

والجدير بالذكر أن مبادئ "الفلسفة الألفية" و"منهج المقاربة المنطقي" قد تم تطبيقها في كتاب "أصل الإنسان"؛ حيث تم شرح النصوص الغيبية المتعلقة بأصل الإنسان، ثم شرح النظرة العلمية الحالية، وبعدها تم وضع فرضية **مقاربة** مريحة لردم الفجوة بين الغيب والعلم في هذا الموضوع.

وللتنبيه فقد اعتمد هذا الكتاب على صِيَغ تحديد المسؤولية، وذلك لإبعاد شبهة فرض الفكر ونفي الآخرين، ومثال لهذه الصيغة:"ضمن غلبة ظن المؤلف فإن التحليل لكذا هو كذا"، أو "غلبة التخمين أن كذا هو كذا". والهدف من هذه الصيغ هو التأكيد أن التحليل والفكرة هي ما يقتنع بها المؤلف، والقارئ والآخرين لهم كل الحق في أن يقتنعوا أو لا يقتنعوا بها.

عمر محمد – مايو 2018.

الفصل الأول – الفلسفة الألفية والمسيرة العلمية

هناك موقف قد تسبب في تحطم المسيرة العلمية في الحضارة الإسلامية في حوالي الألف ميلادية (أي قبل ما يزيد عن الألف سنة من لحظة كتابة هذه السطور).

والمؤسف جدًّا أن هذا الأمر كان يمكن علاجه منذ ألف سنة وبفلسفة بسيطة، ولكن المجتمعات الإسلامية كانت قد دخلت في خضم صراعات سياسية وفكرية ومذهبية، فما كان هناك مجال لسعة الصدر أو التفاهم، وهذا أدى (كما سيتم تبيانه) إلى تحطم المسيرة العلمية في الحضارة الإسلامية قبل ألف سنة، أي قبل 500 سنة من استلام الغرب راية المسيرة العلمية.

دعونا أولًا أن نستعرض الآية التالية : "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (النمل–88).

وهذه الآية تقول إن الجبال تتحرك كما يتحرك السحاب ولكننا لا نشعر بذلك. ولم يكن هناك تفسير منطقي عند المفسرين ذلك الوقت، وإنما تركوها على حالها دون تفسير. ومع وضوح الآية فإنه لم يَخَفْ أَحَدٌ من البناء على الجبال بدعوى أنها تتحرك كالسحاب، بل إن القلاع لم تكن تُبنى إلا على الجبال. أي أن هذه الأية مع وضوح معناها فإنها لم تجعل المسلمين يتحرجون من البناء على الجبال.

وقد ظهر تفسير هذه الأية، وبفضل جهود علماء غربيين: إذ إن الأرض تتحرك حول محورها وكذلك حول الشمس مما يجعل الجبال تتحرك في الفراغ كحركة السحاب في الهواء.

الآن ... بدأ علماءٌ مسلمون كثيرون (منذ الألف ميلادية) الاقتناع أن الأرض هي التي تتحرك حول الشمس، وأن سبب رؤيتنا لتحرك الشمس حولنا هو أن الأرض تتحرك حول محورها، وقد ظهرت إشارات واضحة في كتابات البيروني أن الأرض تتحرك حول محورها وحول الشمس، ولكنه لم يستطع أن يُعلن ذلك صراحة، وفي النهاية آثر السلامة، وكان آخر سطوره في هذا الموضوع أن الأرض ثابتة لا تتحرك.

ومع ذهاب البيروني خمد الأمر ولم يتم فتحه إلا بعد حوالي ثلاثة قرون بسطور يتيمة من ابن الشاطر الدمشقي، وهي سطور لم يهتم بها أحد حتى تَبنَّاها كوبيرنيكوس (بعد ابن الشاطر بقرنين) وبنى عليها نظريته المشهورة في حركة الأرض حول الشمس.

لماذا تردد البيروني في اعلان نظريته ولماذا قام في النهاية بالتبرؤ منها؟

لأن نظرية البيروني كانت متعارضة تمامًا مع النصوص القرآنية المفهومة ذلك الوقت عن حركة الشمس، فضمن المفاهيم ذلك الوقت فإن النصوص تبدو صريحة تمامًا أن الشمس هي التي تدور حول الأرض وليس العكس، ولم يكن هناك شك عند أي فقيه (وقتها) في صراحة هذه النصوص:

فقد قال الله تعالى في آيات الشمس والقمر: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (40–يس)، وقال تعالى: "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" (131–طه)، وقال تعالى: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ" (17 – الكهف).

وفي رواية صحيح البخاري: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَدْرِي : " أَيْنَ تَذْهَبُ ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا ، يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ سورة يس آية 38".

وهذه النصوص كلها لم يكن فيها شك في صراحتها ذلك الوقت،، بل ما زال بعض علماء الدين المعاصرين يؤمنون بذلك الفهم القديم.

فكيف كان سَيُسمح للبيروني أن يقوم بعرض نظريته التي تقول إن الشمس هي مركز الكون وأن الأرض هي التي تدور في فَلَكٍ حول الشمس!!!

ويجب التنبيه أن وقت البيروني كان وقت صراع بين علماء الدين والفلاسفة، وكان صراعًا فكريًّا شرسًا، فما كان يمكن أن يَجْرؤ البيروني أن يُدخل رأسه في خضم هذا الصراع.

وبعد ألف سنة من البيروني ظهر التوفيق بين التفسيرات العلمية والغيبيات القرآنية (وبفضل علماء غربيين وليسوا مسلمين: فمع أن نظرية كوبيرنيكوس (التي تقول إن الشمس ثابتة في مركز هذا الكون وأن الأجرام تتحرك حولها) كانت أشد دقة من النظرية السابقة (والتي تقول إن الأرض تقع في مركز الكون)، إلا أن نظرية كوبرنيكوس لم تكن دقيقة؛ فقد أظهر هابل (Edwin Hubble) عام 1924 أن الشمس تدور حول مركز المجرة، وأن هناك مجرات أخرى غير مجرتنا في هذا الكون، وأن هذه المجرات تسبح (Drifting) مبتعدة عن مركز هذا الكون،، وهذا مصداق لآية الشمس والقمر.

وأما تحليل الحديث السابق فسنناقشه في آخر الفصل الثاني لعلاقته بذلك الفصل.

وأما تفسير طلعت وتزاور وغربت وتقرض في سورة الكهف، فقد ظهرت تفاسير حديثة مختلفة، منها أنها مجاز مقبول ومُعتمد؛ فنحن نعلم تمامًا أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ومع هذا فما زلنا حتى اللحظة نقول شروق الشمس وغروب الشمس، وجميع الشعوب بما فيها الشعوب الغربية الذين أعلنوا للعالم نظريتهم أن الشمس هي مركز الكون فإنهم في لغتهم الدارجة لا يقولون "شروق الأرض على الشمس" أو مطلع الأرض على الشمس، وإنما يقولون شروق الشمس وغروب الشمس:

.Sun Rise and Sun Set

وكذلك عندما نتحدث عن شخص اسمه كريم ونقول جاء كريم، فهذا وصف لواقع محدد والذي هو شخص اسمه كريم، ولا يعني بالضرورة أن "كريم" يتصف بالكرم، وضمن الكلمات التي استخدمتها العرب في وصف الوقائع فإنهم استخدموا كلمتي شروق الشمس وغروب الشمس لوصف زمنين محددين عندهم، واستخدام القرآن لهذه الكلمات هو استخدام لغوي لوصف زمنين مُحددين.

ونحن (المسلمين) الآن عندما ندرس قوانين نيوتن وعلوم الفلك فإننا لا نشعر بالحرج في القول إن الأرض تدور حول الشمس، ولكن هذا قد حدث مؤخرًا في أوائل القرن الماضي عندما اكتشف هابل نظريته. ولكن دعونا نسأل عن موقف الدارسين لعلوم الفيزياء والفلك من المسلمين قبل ذلك، أي

قبل عام 1924 عندما كانت النظرية العلمية المتبناه أن الشمس ثابتة في الكون وأن الأجرام تتحرك حولها: كيف استطاعوا يا ترى تَقبل هذه النظرية؟ وهل تجرأوا أن يُجاهروا بها؟ وهل استطاعوا تدريسها بحرية لطلابهم المسلمين مع تناقضها التام مع نصوص القرآن (حسب فهم علماء الدين ذلك الوقت)؟

وهنا النقطة ..... لم يكن أحد قادرًا قبل القرن التاسع عشر التعمق في العلوم الطبيعية دون أن يَدرس ويَتمكن ويُطبق قوانين نيوتن، ولكن مُقتضى قوانين نيوتن ذلك الوقت تتطلب التبني الكامل لفكرة أن الشمس ثابتة في مركز الكون، وهذا هو السبب (ضمن وجهة نظر المؤلف) في نفور وعزوف الكثير من المسلمين من دراسة العلوم الفيزيائية في القرون السابقة أو حتى النظر إليها، وهذا ما أدى إلى عصور مظلمة في مجال العلوم الفيزيائية والطبيعية.

وهذا هو موضع النقاش: لقد وصلت المسيرة العلمية في الحضارة الإسلامية الى مشارف متقدمة جدًّا، ولكنها لم تستطع أن تكمل المسيرة وذلك لأن علماء الطبيعة قد توصلوا إلى نظرية تبدو متعارضة مع صريح القرآن ضمن أفهام الناس ذلك الوقت، وهذا ما تسبب (ضمن وجهة نظر المؤلف) في توقف المسيرة العلمية، وذلك لأنه لا يُمكن أن تستمر تلك المسيرة العلمية من دون الخوض براحة وحرية في موضوع ثبات الشمس في مركزها، والظاهر أن كل من خاض في هذا الموضوع إمَّا أنه لم يَتَجرأ الحديث عنها، أو أنه قرر لفظ هذا العلم تمامًا لأنه مخالف للقرآن الكريم.

وبقدرتنا الآن أن نرى الصورة كاملة، فنحن مرتاحون تمامًا للنظرية العلمية الحالية في موضوع دوران الأرض حول الشمس، بل ونراها متوافقة تمامًا مع نصوص القرآن.

وهنا وجب السؤال: ماذا كان يجب على البيروني وأصحابه أن يفعلوا؟؟؟

وهذا سؤال واقعي وحقيقي؛ حيث إننا نعلم الآن أن سكوت البيروني وأصحابه (ومن جاء بعدهم) قد تسبب بتوقف المسيرة العلمية. فماذا كان يجب عليه أن يفعل؟

في المقابل فإن سكوت البيروني أمر مُتَفَهَّم؛ فإن النظرية التي انتبه لها تُعارض صريح القرآن الكريم (حسب فِهمه هو وفِهم العصر الذي كان فيه).

وهنا نأتي إلى السؤال الحاسم في هذه المقالة:

إذا توصلت الأبحاث العملية إلى نتائج تُعارض تمامًا ما نراه صريحًا في نصوص القرآن، فماذا نفعل؟؟؟

وهذا السؤال مهم، فقد حدث في عصر البيروني، وهو يحدث الآن في مواضيع أصل الإنسان وبداية ونهاية الكون، إلخ.

وهنا السؤال ..... ماذا كان على البيروني أن يفعله؟ وماذا علينا أن نفعله الآن إن تعرضنا لموقف مشابه؟

والجواب بسيط:

يجب علينا أن نكون صادقين في الوصف وأمينين في التحليل؛ فإذا أظهر البحث العلمي نتائج تُخالف النصوص الصريحة في القرآن الكريم (حسب فهمنا وفهم الجهابذة من علماء الدين) فيجب أن نكون صادقين.

كيف نكون صادقين؟؟

أن نقولها صراحة إن نتائج البحث العلمي تخالف ما نفهمه من نصوص صريحة في القرآن.

حسنًا ... ذلك كان الصدق، فكيف نكون أمينين في التحليل؟

نكون أمينين في التحليل عندما نصف نتائج البحث العلمي دون لَي أو هندسة أو تَفَلسُف؛ إذ إن بعض علماء الطبيعة من المسلمين يُحاولون جهدهم (وبِحُسن النِّيَّة) هندسة النتائج العلمية ولَيِّها وترقيعها كي تصبح مُتوافقة تمامًا مع النصوص القرآنية، وهذا عمل ليس فيه التَحَرِّي للصدق ولا الاهتمام بالأمانة، ومن أسوأ الأمور أن لا يكون المتدينون ذوو تحري للصدق والأمانة؛ فالدين ليس سجودًا وقراءةً ومسبحةً وطوافًا فقط، وإنما هو أكبر من ذلك بكثير، والصدق ليس في "قال فلان وقال فلان" فقط، والأمانة ليست في "تأدية المال لأهله" فقط، وإنما الصدق والأمانة يكون كذلك في وصف الوقائع وتحليلها.

وهذه هي النقطة .... يجب أن نتحرى الصدق والأمانة في الوصف والتحليل، وإذا تعارضت نتائج البحث العلمي مع نصوص القرآن الكريم فإن الصدق والأمانة يقتضي أن نقول: "إن نتائج البحث العلمي الحالية تتعارض مع القرآن".

انتبه هنا ..... إن البحث العلمي له مسار واضح تمامًا: فهو يجب أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح؛ فمعظم النظريات العلمية بدأت خاطئة ومع مرور الزمن تم تعديلها حتى وصلت الى درجة عالية من الصحة.

ولهذا فإنه يجب أن **لا يكون مُستغربًا** ظهور التعارض بين آيات القرآن والنظرة العلمية وذلك لأن النظرة العلمية بحاجة أن تخطو الى الخطأ كي تصل الى الصحيح.

وكذلك هناك سبب آخر لتعارض آيات القرآن مع النظرة العلمية وهي أنه ربما يكون فهمنا للآية القرآنية غير صحيح، مثال ذلك قول الله تعالى:"ويعلم ما في الأرحام" (34 – لقمان)، وقد أخذها كثير من المفسرين أن الانسان لا يمكنه معرفة نوع الجنين، وتبين لاحقًا قدرة الانسان على معرفة نوع الجنين، وإذا نظرنا بعمق فلا يوجد أي تصريح في الآية أن الانسان لا يمكنه معرفة نوع الجنين، والذي حدث أن فهمنا لهذه الآية لم يكن دقيقًا.

وهنا يكمن أسباب التعارض بين المنهج العلمي وآيات القرآن:

- أن يكون المنهج العلمي ما زال في خطواته الخطأ نحو الصحيح.
- أن يكون فهمنا للآية القرآنية غير دقيق؛ وهذا أمر طبيعي إذ إن الغيبيات في القرآن جاءت وصفًا مُجملًا دون تفسير ودون تفصيل؛ فلا يوجد فيها أجوبة لكيف ومتى وأين ولماذا إلخ، فمثلًا: آية الشمس والقمر لا يوجد فيها تفصيل لسبب تحرك الشمس في الفلك، وأين مدار هذا الفلك، إلخ،، وفي آية الجبال لا يوجد تفصيل لكيفية مرور الجبال كالسحاب، ولماذا نحسبها جامدة، إلخ،، وهنا من الطبيعي أن يكون فهمنا للغيبية في القرآن ليس كاملًا إلا بالحدود الحرفية للنص.

ونحن المسلمين الآن في هذا العصر يجب أن نكون قد أخذنا المناعة الكاملة من ظهور التعارضات بين نتائج البحث العلمي ونصوص القرآن:

فالمناعة الأولى كانت في آية الجبال :"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (النمل–88)، وقد قام العلماء الأقدمون بتفسير الآية كما هي، ولكن لم يقم الناس بالرحيل من الجبال بسبب هذه الآية وإنما كان هناك موقفان: الموقف الأول وهو الموقف الواقعي وهي أن الجبال ثابتة، والموقف الثاني وهو أن الجبال تمر مر السحاب دون أن نشعر،،، ولم يُؤثر أحد هذين الموقفين على الآخر، وقد ظهر للناس (فيما بعد) التفسير الصحيح لهذه الآية وظهر التوفيق بين هذين الموقفين.

ولكن ... كيف تكون آية الجبال هي المناعة الأولى؟

تكون هذه الآية هي المناعة الأولى لأن الله أخبرهم بغيب يُناقض تمامًا ما يرونه ويحسونه ("تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب")، وقد آمن المسلمون بما أخبرهم الله به، وفي الوقت نفسه فقد تعاملوا مع الجبال كما يرونها وكما يحسونها وكما "يَحْسِبونها"، فكان هناك خَطَّان: خط يؤمن بما أخبرهم الله به من غيبيات، وخط آخر يتعامل مع الواقع كما يرونه ويحسونه وإن خالف هذا الإحساس الخط الأول.

انتبه هنا ..... نحن لا نتحدث عن الأحكام الشرعية، فالأحكام الشرعية يجب طاعتها بحدود النص بغض النظر رأينا فائدتها أو لم نراها، ولكن آية الجبال ليست حُكمًا شرعيًّا، وإنما خبر غيبي، وهنا كانت فائدة الخطين: خط يؤمن بالغيبية بِقَدر فهمنا للنصوص، وخط آخر يتعامل مع الواقع كما نحسه.

والمناعة الثانية هي آية الشمس والقمر التي بدأنا بحثنا بها، والتي كانت تظهر أنها متعارضة مع نظرية دوران الأرض حول الشمس حتى استطاع العلم أخيرًا أن يُظهر لنا التفسير الصحيح لهذه الآية.

ولهذا فإن وجهة نظر المؤلف أن المسلمين يجب أن يكونوا قد وصلوا الآن إلى الدرجة العالية من المناعة للتعارضات بين النظريات العلمية وآيات القرآن، وأن ينظروا الى هذه التعارضات ببرودة الأعصاب وهدوء النفس.

وأفضل مثال لتوضيح العلاقة بين البحث العلمي وآيات القرآن هو قيام الشخص بالسفر من الجنوب الى مدينة في الشمال بطريق جبلية كثيرة التعاريج، وليس غريبًا أبدًا أن ينحرف الطريق فجأة باتجاه

الجنوب مع أن المدينة في اتجاه الشمال، وكل ما في الأمر أن الطريق شديد التعاريج بسبب طبيعة الأرض، ولكن إذا صبر المسافر قليلًا فسيجد أن الطريق سينحرف الى الشمال باتجاه المدينة. وكذلك البحث العلمي فطريقه شديد التعاريج، وقد يظهر في مساره أنه متعارض تمامًا مع آيات القرآن، ولكن هذا التعارض هو مؤقت، وللمسلمين الآن العبرة في موقفين وهما آية الجبال وآية الشمس والقمر كما ذكرنا سابقًا.

شكل 1.1: إذا كان طريقنا نحو الشمال فإن هذا لا يمنع وجود أجزاء في الطريق تكون في الاتجاه المناقض (أي الجنوب).
طريق في النرويج. المرجع: medium.

ولكن تعارض هذا العلم مع آيات القرآن لا يعني أن لا نقوم بدراسته ونهمله ونتركه للآخرين؛ فكما أنه من شدة الخطأ قيام المسافر بالتوقف في الطريق لأن الطريق بدأ ينحرف نحو الجنوب، فإنه كذلك من شدة الخطأ قيام العلماء في القرن الثامن عشر برفض دراسة قوانين نيوتن بحجة أنها تتعارض مع آية الشمس والقمر، وكذلك فإنه من شدة الخطأ قيام العلماء الآن برفض دراسة قوانين التطور ونظريات نشوء الكون بحجة أنها متعارضة مع نصوص القرآن.

وهذه هي النقطة هنا... البحث العلمي له طريق شديد التعاريج، ويجب عليه أن يخطو الى الخطأ كي يصل الى الصحيح، ومن هنا جاءت الضرورة لعمل مسافة بين البحث العلمي وبين آيات القرآن، وهي نفس المسافة التي اتخذها المفسرون في قول الله تعالى:"وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب".

وهنا نأتي إلى الفلسفة المقترحة:

إذا ظهر أن نتائج البحث العلمي تتناقض مع الصريح الذي نفهمه من نصوص القرآن فإن علينا أن نؤمن بنصوص القرآن، وفي نفس الوقت نمشي ونتماشى مع نتائج البحث العلمي حتى يفرجها الله تعالى.

وبالتالي يكون هناك خَطَّان:

- خط يتعلق بفهمنا لنصوص القرآن الكريم، ونؤمن بهذا الفَهْم إلا إذا ظهرت لنا معلومات تدل أن فهمنا لم يكن دقيقًا.
- خط آخر يتعلق بنتائج البحث العلمي، ونمشي في هذا الخط ونتماشى معه حتى يفرجها الله تعالى.

وأن لا يكون أحد الخطين إثباتًا أو نفيًا للخط الآخر، وأن نستمر في هذين الخطين حتى يُظهر الله الحقيقة.

وانتبه هنا .... إن وجود خطين هو أمر جيد؛ حيث من الممكن أن يقوم أحد الخطين بِلَفْت الانتباه لأمر في الخط الآخر: فربما نتائج البحث العلمي تلفت انتباهنا لمعنى جديد في النصوص، وربما فهمنا للنصوص يلفت انتباهنا لأمر جديد في العلم،، ولكن يجب أن لا نجعل أحد الخطين حَكَمًا على الآخر.

وهذه هي الفلسفة التي كان يجب على البيروني وأصحابه أن يتحلوا بها، وتم تسمية هذه الفلسفة بـ "الفلسفة الألفية" لنتذكر دائما المأساة التي حدثت في الألف الميلادية عندما توصل العلماء المسلمون إلى خطوة ضخمة في المسيرة العلمية (دوران الأرض حول الشمس) ولم يتجرأوا الحديث عنها أو الخوض فيها.

وقد يتهمني القارئ بالمبالغة ولهذا سأضع هنا فقرة وجدتها في أحد المنتديات حديثًا:

"... فإذا ماذا يكون ..... فبقول الكتاب والسنة أن الشمس هي التي تدور، وقول الكفرة الأرض هي التي تدور، فكيف نترك الكتاب والسنة ونذهب الى غيرهما ..."

انتبه هنا .... المؤلف لا ينتقد أي شخصٍ لا يزال مُقتنعًا أن الشمس تدور حول الأرض؛ وذلك لأن النصوص الغيبية يُمكن تفسيرها للدلالة على ذلك، وإنما نحن بحاجة ماسة جدًّا إلى فلسفة نتفق عليها جميعا: تسمح للعلماء بحرية البحث وحرية المشي والتماشي مع المنهج العلمي حتى يُظهر الله الحقيقة.

الآن .... توجد هنا مشكلة لغوية: كيف نستطيع أن نصف نتائج البحث العلمي دون أن نَتجنَّى على القرآن؟؟

الجواب: **نَصِفُها كما هي**.

مثال: "النظريات والأدلة العلمية الحالية تقول إن الإنسان والقرد لهما أصل واحد قبل خمسة ملايين سنة".

والعبارة السابقة لا تَتَجَنَّى على القرآن؛ فنحن لم نقل إن الانسان والقرد لهما أصل واحد، وإنما قلنا: النظريات والأدلة العلمية الحالية تقول (تشير، تدل، تؤكد، إلخ) إن الانسان والقرد لهما أصل واحد.

وهذه العبارة صحيحة وصادقة؛ فالنظريات العلمية تقول ذلك، ولكن هذا لا يعني أن ما تقوله هذه النظريات هو الحق.

وأفضل تشبيه لما سبق هو عندما نشرح التاريخ اليوناني القديم ونقول: "إنهم كانوا يؤمنون أن زيوس هو إله السماء والصاعقة وقوى الطبيعة كلها، وأنه كان الأب لجميع الآلهة الأخرى، وكانوا يقولون إن زيوس هو ابن الإله كرونوس ... إلخ"

ما سبق ليس كفرًا منَّا ولا تجنيًا على القرآن، وإنما كنا نَصِفُ العقائد التي كان اليونانيون يؤمنون بها.

وكذلك نَصِفُ نتائج البحث العلمي.

لنفترض الآن أن هناك عالمًا مسلمًا متخصصًا في علوم البيولوجيا والتطور، وفي دراسته وَجَدَ أدلة تزيد الدلالة أن القرد هو أصل الإنسان، فماذا يفعل؟؟

الجواب: يتصف بصدق الوصف وأمانة التحليل، وينشرها كما هي دون هندسة أو فبركة، ولكن يستطيع أن يقول إن هذه الأدلة (التي انتبه لها) تزيد من قوة النظرة العلمية التي تقول إن الإنسان أصله قرد. (وانتبه هنا أنه لم يقل إن الإنسان أصله قرد، وإنما قال إن النظرة العلمية تقول إن الإنسان أصله قرد).

ومنعًا لأي **شبهة** فإن هذا العالم يستطيع أن يكتب على الهامش أنه مسلم ومؤمن تمام الإيمان أن أصل الإنسان ليس قردًا، ولكنه يَمشي ويَتماشي مع هذا البحث العلمي حتى يَفرجها الله تعالى.

ولهذا السبب فإن الخوض في هذا العلم ووصفه وبحثه لن يُسبب مشكلة إيمانية، وخصوصًا بعد المناعة الكاملة التي من المفترض أننا قد حصلنا عليها والتي تحدثنا عنها في السطور السابقة.

بل إنه من **الضروري** لذلك العالم أن ينشر بحثه للجمهور؛ فإذا استخدمنا تشبيه الطريق: فإن المسافر الذي اكتشف أن طريقه يتجه نحو الجنوب مع أن المدينة تقع في الشمال فإنه كلما أسرع في هذه الجزئية من الطريق فإنه يقترب من نهايتها ويصل إلى الطريق المباشر نحو المدينة،، وكذلك في موضوع ذلك العلم؛ فإذا تحركنا بسرعة في طريقه فإننا سنصل بسرعة إلى نهاية التعارض بينه وبين النصوص الغيبية.

الآن ... يجب أن نعترف: التحرك بخطين متناقضين هو أمر غير مريح، وقد يستطيع البعض القيام به ولكن الكثير جدًّا من الناس لا يستطيع التعامل مع هذا التناقض. وهنا نستطيع خلق خط ثالث وهو خط مبني على "منهج المقاربة المنطقي" وهو حديث الفصل التالي.

الفصل الثاني – منهج المقاربة المنطقي

هناك طريقتان لمحاولة التوفيق بين أمرين متعارضين (إن كان بين نظرية علمية ونظرية علمية أخرى، أو كان بين نظرية علمية ونصوص غيبية):

الطريقة الأولى وهي التحليل المنطقي وذلك لمحاولة التوفيق بين الفكرتين المتعارضتين، وفيها نربط الأدلة بعضها ببعض، ونحاول أن نجد تحليلًا منطقيًّا يقبل الفكرتين معًا. ونحن في هذا التحليل المنطقي لا نقوم أبدًا بِلَيّ (ثني) الأدلة ولا بهندستها ولا بإهمال بعضها (دون سبب منهجي) ولا بافتراض وقائع خارجة عن المنطق المحتمل؛ وإنما نقوم بتحليل الأدلة بكل إحاطة ودقة للوصول إلى تحليل منطقي يفسر التناقض بين الفكرتين المطروحتين.

وفي الحقيقة فإن هذه الطريقة هي جزئية مهمة في منهج البحث العلمي، وهي كذلك جزئية مهمة في منهج البحث الفقهي. وهناك الكثير من النظريات العلمية والاجتهادات الفقهية والتي انتبهنا لها عن طريق تحليل التعارضات بين الأدلة.

وحيث إنها جزئية من المنهج العلمي فهي ليست الخط الثالث في الفلسفة الألفية والتي تحدثنا عنها في الفصل السابق.

وأما الخط الثالث فهو منهج المقاربة المنطقي، وفي الحقيقة فإن المؤلف قد وضع اسمين لهذا المنهج: "منهج المقاربة المنطقي" أو "منهج التخريف المنطقي"، والاسم الأول هو اسم مُحافظ، والثاني هو اسم دقيق، وللقارئ أن يختار أي الاسمين أفضل.

وفي هذا المنهج نقوم بمحاولة خلق سيناريو يُوَفِّق بين النظرية العلمية والنصوص القرآنية، وفيه نقوم بِلَيّ (ثَني) الأدلة العلمية وهندستها، وإهمال أدلة لا يحق علميًّا إهمالها، وافتراض وقائع ليس لها سوابق وغير ممكنة ضمن النظرة المنطقية الحالية،، وكل ذلك كي نستطيع التوفيق بين البحث العلمي ونصوص القرآن.

وهذا هو السبب في تسمية هذا المنهج بـ "المقاربة" فهو يقرب بين خطين متناقضين، وهذا هو السبب كذلك في تسمية هذا المنهج بـ "التخريف" لأن نتائجه هي خاطئة خاطئة خاطئة قد يكون فيها بعض الصحة.

فقيام هذا المنهج بثني الأدلة العلمية وهندستها وإهمال بعضها (إلخ) لا يُؤدي (في معظم الأحيان) إلَّا إلى نتائج خاطئة.

ولكن ..... إذا كانت نتائج منهج المقاربة تُقدم نتائج خاطئة في معظم الأحيان، فما فائدته؟ لماذا نهتم به؟

فائدته كبيرة جدًّا، فهو أولًا يُجبرنا على أن نرى الأمور من خلال زاوية مختلفة، وهذا أحد أدوات الإبداع في التفكير، وثانيًا: أنه يُعطينا "حُقنة مُهدئة" تسمح لنا بالتعامل مع الخطوط المتعارضة.

فهذا المنهج يُقدم لنا وصفة مُهدئة تسمح لنا أن نمشي ونتماشى مع خط البحث العلمي حتى وإن كانت متعارضة مع نصوص القرآن الكريم.

وهذه فائدة ضخمة.

وهنا سؤال .... هل منهج المقاربة هو منهج صادق وأمين؟؟

نعم ... هو منهج صادق وأمين لأننا في هذا المنهج نحدد وبكل صدق وأمانة الأدلة التي قمنا بثنيها، والأدلة التي قمنا بهندستها، والأدلة التي أهملناها، والفرضيات التي فرضناها،، ولهذا السبب نُسَمِّيه منهجًا؛ لأنه يقوم بأمور ضمن قواعد واضحة.

وحتى عندما نقوم بثني الأدلة وهندستها وإهمالها وافتراض وقائع قد تكون خيالية، فنحن لا نقوم بذلك اعتباطًا وتسلية وتضيعة للوقت، وإنما نقوم بذلك بناءً على منطق، ونفسر الأسباب التي دعتنا إلى استخدام هذا الثني والهندسة والإهمال والافتراض، ولهذا السبب تم تسمية هذا المنهج بـ "المنطقي"؛ لأن هناك منطقًا في ثني الأدلة.

وقد استخدمنا هذا المنهج أكثر من مرة في كتاب "أصل الإنسان"، منها تحليل النظرية العلمية في أصل الإنسان، ومنها تحليل متعلق بماهِيَّة الجن.

الآن .... لا يحق لأحد الاقتناع والاحتجاج بنتائج "منهج المقاربة "، فالاحتجاج بها هو إهانة للعقل؛ فهذه النتائج جاءت بعد هندسة وثني للأدلة لتلائم سيناريو المقاربة،، ولكن من الممكن جدًّا أن نرتاح لها حتى تأتي فكرة أخرى تكون أكثر راحة.

وهناك فرق واضح بين الارتياح والاقتناع، وأفضل مثال هو الشخص يرى الرُّؤيا الطيبة في منامه، ولكن سيكون ضربًا من الحماقة أن يبيع هذا الشخص أملاكه من أجل منصب ونعمة رآها في ذلك المنام،، وهذا معناه أنه ربما يكون ضربا من الحماقة أن يقتنع هذا الشخص ويحاجج في تفسير هذه الرؤيا، ولكن لا يوجد أي مانع أن يرتاح هذا الشخص للرؤيا ويأملها.

وكذلك نتائج "منهج المقاربة" فإن وجهة نظر المؤلف أن الاقتناع والاحتجاج بها هو إهانة للعقل، وإنما لا يوجد أي مانع أن يرتاح الصدر لها وأن يأملها حتى تأتي فكرة أخرى تكون أكثر راحة.

وكذلك يجب أن لا يختلط خط هذا المنهج بأي شكل من الأشكال مع خط البحث العلمي، بل يجب القيام بحماية كاملة للبحث العلمي من أي نتائج لمنهج المقاربة؛ فالقوة الحقيقية في المنهج العلمي هو أنه منهج شديد الدقة لا يقبل شيئًا دون دليل معتبر، وأمَّا منهج المقاربة هو على النقيض تمامًا من منهج البحث العلمي، وهذا هو السبب الذي يجب وبكل جهد حماية المنهج العلمي من منهج المقاربة.

بالطبع فإنه من الممكن أن يقوم منهج المقاربة بلفت نظرنا لأمور لم نكن لننتبه لها في البحث العلمي (وهذا هو أحد أهداف منهج المقاربة وهو اجبارنا لرؤية الأمر من خلال زاوية مختلفة)، ولكن أي تقدم أو تفسير أو أدلة توضع في البحث العلمي فيجب أن لا تكون مرجعيتها هو منهج المقاربة.

وأقرب شبيه لمنهج المقاربة هو قصص الخيال العلمي، إلا أن هدف هذه القصص هو التسلية، وأما هدف منهج المقاربة فهو إجبارنا لرؤية الأمور من زاويا مختلفة واعطاؤنا حقنة مهدئة تسمح لنا بتقبل التعارض بين البحث العلمي ونصوص القرآن، أو حتى التعارض بين نتائج البحث العلمي نفسه.

الآن .... يجب أن يكون لمنهج المقاربة مبادئ حازمة وإلا أصبح مرتعًا للهاوي اللعوب؛ إذ إن ثني الأدلة وهندستها هو أمر ليس صعبًا ولا يحتاج إلى كثير من التركيز، وإذا كان الأمر كذلك

فإن هذا المنهج سيكون عُذرًا لكل شخص لعوب بليغ اللسان أن يُدلي بدلوه فيما يفقه، وفيما لا يفقه فيه.

هل يظن القارئ أنني ربما أبالغ قليلًا في الوصف السابق؟

فليذهب القارئ إلى المقاهي في كثير من البلاد، وسيجد هناك بعضًا من الحضور يتناقشون في مواضيع كثيرة: سياسية وطبيعية واقتصادية إلخ، وسيجد بعض هؤلاء يفتون في كل هذه الأمور بلا علمٍ محيط ولا منطقٍ صحيح، وإنما منطقهم هو بلاغة لسانهم وسرعة بديهتهم.

وهؤلاء عندما يُقَدِّمون أفكارهم فَهُمْ لا يُقدمونها بناءً على "منهج التخريف المنطقي"، وإنما يُقدمون "تخريفًا" بلا منهجٍ ولا منطق، وأعتذر تمام الاعتذار لهذه الكلمات، ولكن الحق هنا أحق أن يُقال.

وهنا السؤال ..... منهج المقاربة هو منهج سهل جدًّا لكل فصيح في اللسان وسريع في البديهة أن يدلي بدلوه وإن لم يفقه شيئًا في الموضوع المطروح، فكيف نستطيع تقييد هذا المنهج بحيث لا يدلو فيه إلا العالم المُتمكن في الموضوع المطروح؟؟

الآن ... ضمن الأعراف الأكاديمية فإنه لا يُقبل ولا يُعتد بأي رسالة جامعية أو مقالة علمية أو مقالة بنيت على منهج بحث من غير أن يكون فيها فصل عن الإحاطة (الأدب السابق – Literature Reviews).

والإحاطة هي فصل يتحدث فيه كاتب الرسالة عن آراء العلماء المتعلقة بالموضوع المطروح، واختار المؤلف هنا كلمة إحاطة لأنها تعبر تمامًا عن المطلوب، فالمطلوب هو أن تُحيط بالآراء المختلفة وربما المتعارضة للعلماء الحاضرين والسابقين في الموضوع المطروح، بمعنى أنه إذا تمت الإشارة لرأي مَدْرسة واحدة فقط فإن هذا سيكون مرفوضًا؛ لأنه في الإحاطة يجب وضع آراء جميع المدارس الرئيسية في الموضوع المطروح.

لماذا الإحاطة (الأدب السابق) هو أمر أساسي في الرسائل الجامعية والمقالات العلمية؟؟

لأن الإحاطة هي الدليل الرئيسي لعِلْمِ الكاتب؛ فربما يكون كاتب المقالة شخصًا مشهورًا لكنه في الموضوع المطروح جاهل، وربما يكون الكاتب شخصًا مجهولًا لكنه في الموضوع المطروح ضليع، فالإحاطة هي الدليل أن الكاتب عالم بما يتحدث به.

وهنا أول قاعدة في منهج المقاربة: فقبل وضع أي فرضية مقاربة فَعَلى الشخص أن يُقدم إحاطته للموضوع، فإن كان هدف الفرضية هو مقاربة بين فكرتين متعارضتين فعليه أولًا أن يقدم إحاطته (الآراء الرئيسية في هاتين الفكرتين)، ثم يضع فرضيته في المقاربة. وإذا جاء شخص ووضع فرضيته في المقاربة دون إحاطة فربما يكون من الحكمة إهمالها؛ إذ ربما وضعها على جهل.

وأما القاعدة الثانية في منهج المقاربة فهي أنه يجب على الشخص تنبيه الجمهور أن فرضيته التي وضعها هي فرضية مقاربة، وعليه أن يُنبه للأدلة التي ثناها والأدلة التي هندسها والأدلة التي أهملها من أجل فرضيته. وإذا قام شخص بثني الأدلة وهندستها لتلائم السيناريو الذي يُريده دون أن يقوم بالتنبيه، فمن الحكمة إهمال فرضيته؛ إذ ربما بُنِيت على جهل أو سوء نية.

وأما القاعدة الثالثة فهي أن نتائج منهج المقاربة هي نتائج خاطئة ولكن ربما يكون فيها بعض الصحة، ولهذا السبب لا يَحق لأحد الجدال فيها؛ إذ كيف يكون هناك جدال في أمر قد بُني على هندسة للأدلة. وإذا قام أحد بوضع فرضية مقاربة وأخذ يُجادل بها ويُحاول فَرضها على الآخرين، فربما يكون من الحكمة إهمال فرضيته، فهو ربما لم يكن أمينًا في عرضها.

الآن ..... هناك منطقة رمادية بين التحليل المنطقي ومنهج المقاربة ولكن في معظم الأحيان فإن التمييز بين التحليل المنطقي ومنهج المقاربة واضح تمامًا: فإذا احتاجت الفرضية لثني الأدلة أو احتاجت لإهمال أدلة لا يَحق عِلميًّا إهمالها، أو كانت الفرضية نفسها متناقضة مع القواعد العلمية المعتمدة،، فإن غلبة الظن أن هذه الفرضية مبنية على منهج المقاربة وليس على التحليل المنطقي.

الآن ... ذكرنا في الفصل السابق حديثًا عن سجود الشمس تحت العرش، وهذا الحديث مخالف للنظرة العلمية الحالية، وهناك خياران في التعامل معه:

- نستخدم الفلسفة الألفية في هذا الموضوع، وهنا يتم الإيمان بالمعنى المضمون في الحديث، وفي نفس الوقت نمشي ونتماشى مع النظرة العلمية الحالية حتى يفرجها الله تعالى. وأفضل وصف لهذا الخيار هو أن نعتبر أن سجود الشمس ورجوعها يتم بطريقة لا نفهمها بعد.
- ندرس سند الحديث، وإذا وجدنا خللًا في السند فإننا نقوم برد الحديث (أي اعتبار أن الحديث غير مروي عن الرسول عليه السلام). وانتبه هنا أن رد الحديث لم يكن بسبب

الخلل في السند فقط، وإنما لسببين: الخلل والتعارض مع الواقع المعلوم، وانتبه كذلك أننا لا نتحدث عن أحكام شرعية وإنما نتحدث عن خبر غيبي.

ووجهة نظر المؤلف هي مع الخيار الثاني؛ إذ يوجد في سند الحديث: الأعمش وإبراهيم التيمي، وكلاهما ثقة ولكن فيهما احتمالات الإدلاس، والإدلاس لا يَجرح الراوي ولكنه قد يَجرح الرواية، وقد قال أحمد بن حنبل عن الأعمش: " رجل أهل الكوفة، ومرة: في حديث الأعمش اضطراب كثير"، وقد وصفه العسقلاني: "ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس". وأما إبراهيم فقد وصفه العسقلاني:" ثقة عابد إلا أنه يرسل ويدلس".

الفصل الثالث – الفلسفة الألفية وعلاج الشك

ذكرنا عن الفلسفة الألفية في الفصل الأول وعن ضرورتها لاستمرارية البحث العلمي في خضم تعارضاتها مع النصوص الغيبية، حيث (كما ذكرنا) إن أهم صفة ظاهرة وواضحة في تاريخ البحث العلمي أنه يجب على البحث العلمي أن يخطو إلى الخطأ كي يصل إلى الصحيح.

وذكرنا أن الفلسفة الألفية تتضمن عمل خطين، خط للنصوص الغيبية، وخط آخر للبحث العلمي، وأننا نؤمن بالنصوص الغيبية الصريحة ولكننا نمشي ونتماشي مع خط البحث العلمي حتى يفرجها الله تعالى.

وذكرنا أننا في هذا العصر (القرن الواحد والعشرين) يجب أن نكون قد حصلنا على المناعة الكاملة من التعارضات التي يمكن أن تحدث بين النصوص الغيبية الصريحة والنظريات العلمية الحالية، وأول المناعة كانت آية الجبال والمناعة الثانية هي آية الشمس والقمر (راجع الفصل الأول).

ولكن عندما نتعمق أحيانًا في الخط الثاني (خط البحث العلمي) ربما يُراود بعض الباحثين لحظات من الشك في الخط الأول (خط النصوص الغيبية)، وهذا طبيعي حيث إن بعض الباحثين إذا رَكَّزَ في أمر فإنه ينسى كل ما يُحيطه إلا ذلك الأمر، وهي صفة مفيدة جدًّا، ولكن لها بعض العواقب منها لحظات الشك التي نتحدث عنها.

وكما أن ما سبق طبيعي فإن علاجه كذلك سهل؛ وهو أن يتذكر الشخص في لحظات الشك: لماذا هو آمن بوجود الخالق ولماذا آمن بكتابه ورسوله، وعندها فإن نظرة الشخص تَتَّسِع.

وهنا ما نريد وضعه في هذا الفصل، وهو الأدلة لوجود الخالق والرسالة المحمدية.

3.1 وجود الخالق:

الآن ... هناك أمور قليلة في هذه الحياة التي يمكن إثباتها بشكل قطعي. وأما باقي الأمور، كمجالات الإدارة والإستراتيجية والتخطيط والعمل والتنفيذ، فإنه يتم التعامل معها ضمن غلبة الظن.

وفي هذه المجالات يكون الإنسان مسؤولًا فقط بحدود علمه وإمكانياته، وأما خارج هذه الحدود فهو غير مسؤول، وهذا الأمر واضح في مجالات الإدارة والأعمال والمجتمع والدولة؛ فالموظف الذي تتم معاقبته بسبب الإهمال فإن هذه العقوبة جاءت بسبب قيام الموظف باختيار تصرف مخالف لحدود علمه وإمكانياته.

ولتوضيح الفكرة السابقة لنفترض أن هناك مادة غلب الظن أنها سامة وقام الرجل بتناولها:

الآن... إذا تسببت هذه المادة بالضرر على الرجل فلا يلومن إلا نفسه، وإذا لم يتضرر فهو محظوظ ولكنه بالتأكيد غير ممدوح، وفي المقابل فإننا نقوم بشراء الفواكه والخضار والسمك ونتناولها، وضمن غلبة الظن فإن هذه المواد لا تضرنا، ولكن في حقيقة الأمر فإننا لا نعرف بالضبط كيف تم صيد السمك وكيف تم رش الفواكه والخضار، ولهذا السبب فإن نحن تضررنا منها فنحن غير ملومين ولا يقوم أحد بانتقادنا، وهذا هو المقصود أن الإنسان مسؤول بحدود علمه وإمكانياته.

وبالنسبة الى الإثباتات القطعية فإن أكثر مجالاته هو الرياضيات، ولكن هذا المجال يعتمد على البديهيات التي لا إثبات لها، وإذا تم الاتفاق على البديهيات فمن الممكن إثبات أي شيء، وأما إذا كان الخلاف في البديهيات فإن الإثبات نفسه لا يتحقق.

وكذلك في موضوع الخالق: فإذا تم الاتفاق على البديهيات فإن الإثبات القطعي لوجود الخالق موجود، ولكن إذا كان هناك نقاش وخلاف في البديهيات فإن هذا يُؤثر في الإثباتات القطعية.

ولهذا السبب فإن المؤلف يُفضل الإثباتات العلمية؛ لأنها لا تعتمد على البديهيات، وإنما على الاختبارات، ولكن انتبه هنا أن الإثباتات العلمية لا تضع إفحامًا وإنما تضع غلبة الظن.

والاختبارات العلمية متعددة فمنها التجارب المخبرية ومنها الاختبارات الإحصائية. وهذه الأخيرة هي التي سيتم استخدامها في هذه المقالة.

ولكن من الضروري قبل استخدام الاختبارات الإحصائية الإلمام بنظرية الاحتمالات ومفهوم الاحتمالية:

عندما يكون عندك عملة وتقوم بفنها (أي رميها عشوائيًا) وتَسقط الى الأرض فإن الاحتمالات هي أن تكون ظاهر العملة صورة أو كتابة، وهذا معناه أن احتمالية ظهور الصورة هو نِصْف (0.5).

في المقابل إذا كانت العملة مغشوشة وكان وجهاها هو صورة فإن احتمالية ظهور الصورة هو واحد (1)، أي أن ظهور الصورة هو أمر قطعي.

الآن ما المعنى العملي من أن احتمالية ظهور الصورة في العملة هي 0.5؟

المعنى هو أنك إذا قمت بفن العملة 1000 مرة فستجد أن هناك عدد قريب من 500 من المرات والتي كان ظاهر العملة صورة.

دعونا الآن نشرح المقصود بغلبة الظن:
عندما يقول لك شخص إن فلان قد قام بفن العملة 20 مرة وفي كل مرة ظهرت صورة، وأنه قد قام بهذا الأمر دون غش وإنما هو الحظ، فما هو موقف القارئ من هذه القصة؟

بالنسبة الى المؤلف فإنه على يقين أن الأمر كان غشًّا وأنه لا يمكن أن يكون للحظ أية علاقة بالموضوع.

لماذا؟

لأن احتمالية قيام شخص بفن العملة 20 مرة دون أي غش وأن تكون في كل مرة صورة هو: 0.5 للقوة (20) وتساوي 0.00000095، وهذا معناه أن الشخص إذا قام بالتجربة مليون مرة فإنه يمكن أن ينجح في مرة واحدة فقط.

وإذا انتبه القارئ فإنه ليس مستحيلًا (ضمن النظرة الرياضية) قيام شخص بالعملية السابقة دون غش، ولكن من النظرة العَمَلِيَّةِ للأمور فإن هذا مستحيل، وهذا هو المقصود بغلبة الظن العالية.

والاقتراح في إثبات وجود الخالق يتضمن النظر الى الفرضيات التالية:

1. الفرضية الأساسية: وهو أن هذا الكون تم تنظيمه عن طريق الصدفة.
2. الفرضية البديلة: وهو أن هذا الكون تم تنظيمه بقوة خارجية.

والهدف الآن هو معرفة احتمالية الصدفة في تنظيم هذا الكون. ولمعرفة هذه الاحتمالية فإن علينا أن ندرسه:

والكون عبارة عن أنظمة مستقلة ولكنها متضافرة، فالحياة كي تتحقق في الأرض كان لا بد للأرض والنظام الشمسي من أن يتصف بمقادير معينة، فالأرض لو كانت أقرب إلى الشمس لما كان هناك حياة، ولو أنها كانت أبعد لما كان هناك حياة، ولو لم يكن هناك كوكب كبير كالمشتري يحرف المذنبات والنيازك عن الأرض لتعرضت الأرض لضربات كبيرة قاضية من النيازك، كما أن الحياة تعتمد على الأوكسوجين والماء، ولو لم يكن هناك نظام لتواجدهما باستمرار على الأرض لما كان هناك حياة، وكذلك الإنسان فقد اقترن وجوده بتضافر أنظمة مستقلة فيه كالنظام الهضمي والعضلي والعصبي وغيرها.

وبالطبع ليس من السهل القيام بحساب الصدفة في تكوين هذا الكون ولكن من الممكن عمل اختبار مُؤشر:
لنفترض أن هناك عشرة أشخاص يقومون بفن العملة كل خمس دقائق ولمدة ساعة، وفي كل مرة يكون ظاهر العملات العشرة هو صورة، والسؤال هنا: ما هي احتمالية أن تكون الصدفة هي السبب في نجاح هذا النظام؟

والنظام السابق يتكون من عشرة أنظمة مستقلة تتشارك فيما بينها لتحقيق نتيجة وهي ظهور العملة صورة في كل مرة، وبالطبع فإن تشابك الكون هو أضخم بكثير من هذا النظام، فالكون يتكون من ملايين الأنظمة المستقلة والتي تتشارك منذ بلايين السنين في تنظيم هذا الكون، ولهذا السبب فإن احتمالية الصدفة في نظام العملة يبقى أكبر بكثير جدًا من احتمالية الصدفة في نظام الكون، وهذا هو السبب في تسمية الاختبار بـ "الاختبار المُؤشر".

واحتمالية الصدفة في نظام العملة هو 7 ضرب (10 للقوة −37). أي فاصلة ويمينها 36 صفرًا ثم سبعة، واحتمالية الصدفة في نظام الكون هو أقل من ذلك بكثير.

الآن... بالنسبة الى المؤلف فإن الفرضية السابقة هي غير معقولة ولهذا السبب فإن المؤلف لا يقبل أن تكون الصدفة هي السبب في نظام الكون مما يَجعله يُؤمن بالفرضية البديلة. على أية حال فإن الرجل الذي يقبل احتمالية الصدفة لنظام الكون هو شخص له كامل الحرية، وهنا نظرة المؤلف أن الإنسان في النهاية مسؤول بحدود علمه وإمكانياته.

وكذلك يُمكن البحث في موضوع الرسالة المحمدية وبنفس الأسلوب الإحصائي السابق.

3.2 الرسالة المحمدية:

الفرضيات:

1. الفرضية الأساسية: إنجازات محمد (عليه السلام) هي إنجازات متفوقة ولكنها ضمن قدرة وطبيعة الإنسان.
2. الفرضية البديلة: إنجازات محمد (عليه السلام) هي إنجازات خارجة عن قدرة الإنسان وطبيعته.

الملاحظات:

هناك آلاف السنين من التاريخ المسجل، وخلال هذه المدة عاش في الأرض الملايين والملايين من البشر، وضمن ملاحظات التاريخ، فإنه ما من أحد تفوق في مهارة أو عمل إلا وكان له شبيه في تفوقه ومهارته، وما من أحد عمل عملًا إلَّا واستطاع أحد آخر أن يعمل شيئًا شبيهًا له أو يتفوق عليه.

مثال ذلك إذا نظرنا الى الإنجازات العسكرية، فيمكن أن نقول إن الإسكندر هو أكثر القادة العسكريين إنجازًا ومهارة، ولكن هناك من يشبهونه في إنجازاته ومهاراته، فكورش، وجنكيزخان، وأتيلا، ويوليوس قيصر، وغيرهم يشبهون الإسكندر في مهاراته وإنجازاته، ويمكن القول أن الإسكندر يتفوق عليهم ولكن الآخرين قريبون منه. ومن الممكن كذلك أن نقول إن آنشتاين هو أكثر العلماء الفيزيائيين إنجازًا ومهارة، ولكن إذا نظرنا لوجدنا أن هناك الكثير من يشبهه في إنجازاته ومهاراته، فأرخميدس،

وفيثاغوروس، وجاليليو، ونيوتن، وغيرهم إن لم يتفوقوا عليه فإنهم قريبون من درجة إنجازاته ومهاراته. وهذا ينطبق على كل الإنجازات الإنسانية كالموسيقى والأدب والرسم والإنشاء والهندسة وغيرها.

فالملاحظة هنا هو أن أي إنسان له مهارات ووصل الى إنجازات فإن المجتمع الإنساني لا يُمكنه إلا أن يأتي بإنسان آخر تكون مهاراته وإنجازاته قريبة أو متفوقة من إنجازات ومهارات الأول.

ويمكن إثبات هذه الملاحظة باستعراض التاريخ وبأسلوب إحصائي.

وبالتالي فإن القول الفصل في الاستدلال هنا هو إذا كان هناك شبيه لإنجازات محمد (عليه السلام) فإنجازاته تكون ضمن قدرة وطبيعة الإنسان، وأما إذا ثبت أنه ليس لإنجازاته شبيه فغلبة الظن عندها أن إنجازاته ليست ضمن قدرة وطبيعة الإنسان، وأن إنجازاته هي حالة فريدة في التاريخ المكتوب من البشرية.

الآن ..... ما هي إنجازات محمد (عليه السلام):

1. لقد أقام ديانة، وهذه الديانة ما زالت قائمة وتنمو باضطراد.
2. لقد أقام مبدأً تنبني عليه الأنظمة والقوانين والأفكار، وفي العالم الآن ثلاثة مبادئ واضحة: الرأسمالية، والشيوعية، والإسلام.
3. لقد وضع الأنظمة والقوانين التي تعالج مشاكل الفرد والمجتمع والدولة.
4. لقد أقام دولة وما زال أساسها قائمًا.
5. لقد أقام أمة وما زالت بكيانها ووجودها.
6. لقد تحققت هذه الإنجازات في حياته.
7. ولقد مات عزيزًا في قومه.

أما مهارات الرسول عليه السلام فقد مات الرسول وعنده مهارات عديدة قوية، ولكن هذه المهارات قد ظهرت فجأة ودون إنذار؛ فقد عاش حياة هادئة مدة أربعين سنة، ولم يذهب الى الجامعات ليدرس مهارات الإدارة والقيادة، ولم يقرأ عن تاريخ القادة ومهاراتهم وأخطائهم، بل كان أُمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يأخذ أية مسؤولية قيادية أو إدارية كي يأخذ منها الخبرة، وإنما كانت حياته هادئة ولم يشتهر عنه إلا أنه صادق وأمين، ولو أنه مات قبل البعثة لما ذكره أحد في التاريخ، ثُمَّ

جاءت البعثة وظهرت عليه المهارات فجأة ودون إنذار ولم تمر ثلاث وعشرون سنة إلا والعالم غير العالم والناس غير الناس.

الاختبار:

من في التاريخ يُشبه محمدًا (عليه السلام) في إنجازاته والتي تحددت بالديانة، والمبدأ، والأنظمة والقوانين، والدولة، والأمة، وتحقيق الإنجازات في حياته، والموت عزيزًا في قومه؟

وإذا نظرت بعمق شديد في التاريخ فستجد النتيجة هي صفر، وإنما أقرب رجل لإنجازات الرسول عليه السلام هو موسى عليه السلام: فلقد أنشأ ديانة، وضع أنظمة وقوانين، وأنشأ أمة، ولكنه لم يتمكن من إقامة الدولة ومات وحيدًا مفارقًا لقومه.

وهنا نأتي لنتيجة الاختبار: وهي أنه ما من أحد في التاريخ المنظور قد أنشأ ديانة وأقام مبدأً ووضع الأنظمة والقوانين وأقام دولة وأقام أمة وتحققت إنجازاته في حياته ومات عزيزًا وما زالت إنجازاته قائمة إلَّا مُحمدًا.

الآن ... هل هذا الإثبات قطعي؟؟

بالتأكيد لا، فهذا الإثبات هو غلبة ظن حيث إنه يعتمد على الاستدلال الإحصائي، والاستدلالات الإحصائية هي دائمًا ظنية.

ولكن الاستدلال السابق كافٍ ومريح للمؤلف، بمعنى آخر فإنه فيما يَخُصُّ المؤلف فإذا سأله شخص عن السبب الذي يجعله مُقتنعًا بالرسالة المحمدية فإن جواب المؤلف يكون الاستدلال السابق.

وهنا النقطة ... نحن لسنا بحاجة أن نقوم بإفحام الناس، ولسنا بحاجة للبحث عن الإثباتات المفحمة الخارقة المُبهتة، وإنما نحن بحاجة فقط (ولأنفسنا بالدرجة الأولى) إلى إثبات كافٍ ومريح مبني على قواعد عقلية مُعتمدة وسليمة.

المراجع

إسلام ويب، http://www.islamweb.net/hadith

الباحث العربي – لسان العرب، http://www.baheth.info/

البحث في ألفاظ القرآن، http://www.alawfa.com

تفسير القرآن (الطبري والقرطبي وغيره)، http://quran.ksu.edu.sa/tafseer

موقع الإسلام، http://hadith.al-islam.com

Medium,, nookmind.com through https://medium.com/@n00kmind/top-10-most-beautiful-but-deadly-road-in-the-world-6d6e35543eae

مؤلفات سابقة للمؤلف

النهضة والذكاء الجماعي: أفكار منهجية في البحث والتحليل والإدارة تتعلق بالصفات الأساسية لنهضة الأمم (2012) مصر: مكتبة الآداب.

الأسرار في الإبداع: الإبداع والعبقرية ليستا بحاجة إلى ذكاء خارق، وإنَّما بحاجة فقط إلى صبرٍ في التَّفكير (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

الجن ... ما نتوهمه لهم وما يمكن استنتاجه عنهم: نظرة منهجية تهدف لوضع موضوع الجن على قاطرة البحث العلمي (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

العبرة الكبرى: النقمة التي تحل على أي شعب (أو أُمَّةٍ بِمَنْ فيهم العرب والمسلمين) يَرَوْنَ أنفسهم أنهم أفضل الشعوب وأذكى الشعوب وأشرف الشعوب وأَنَّ الكون كله يدور حولهم وأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

السلسلة الإدارية:

إدارة الابتكار (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الأول .

حسن الاستماع وإدارة الحوار (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثاني.

منهج الإبداع (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثالث.

مهارة الربط والتحليل المنطقي (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الرابع.

تقييم الفعالية والكلفة والمخاطر (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الخامس.

منهج التطوير (2016) السلسلة الإدارية – الجزء السادس.

إدارة المعرفة (2016) السلسلة الإدارية – الجزء السابع.

إدارة التميز (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثامن.

السلسلة الفكرية:

أصل الإنسان (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الأول.

ذو القرنين وأهل الكهف (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الثاني.

الهلال بين الرؤية والحساب (2017) السلسلة الفكرية – الجزء الثالث.

الفلسفة الألفية ومنهج المقاربة (2018) السلسلة الفكرية = الجزء الرابع.

ملاحظة: بعض الكتب السابقة يمكن تنزيلها بصيغة الـ pdf من العنوان التالي:
omr-mhmd.yolasite.com